

فجرُ القُدى والإيمان

من قصص الأنبياء

للصغار واليافعين

أيوب

٩

دار القلم العربي

للأطفال

من قصص الأنبياء

للفغار واليافين

- | | |
|------------------------|-------------------------------|
| ١- آدم عليه السلام | ٢- نوح عليه السلام |
| ٣- هود عليه السلام | ٤- صالح عليه السلام |
| ٥- إبراهيم عليه السلام | ٦- إسماعيل عليه السلام |
| ٧- يوسف عليه السلام | ٨- شعيب عليه السلام |
| ٩- أيوب عليه السلام | ١٠- يونس عليه السلام |
| ١١- موسى عليه السلام | ١٢- داود عليه السلام |
| ١٣- سليمان عليه السلام | ١٤- زكريا ويحيى عليهما السلام |
| ١٥- عيسى عليه السلام | ١٦- محمد صلى الله عليه وسلم |

من قصص الأنبياء ، قصصٌ أُثِّرت وزيدت إشراقاً بذكر أخبار رُسل
الرحمة والإنسانية ، رُسل المحبة والسلام ، حقاً إنهم كانوا فجر الهدى والإيمان ،
صلوات الله عليهم وسلامه ، الذين أثاروا ظلام عقول البشر ، واقتلعوا منها
الأوهام والأباطيل ودعوا إلى عبادة إله واحد لا شريك له ، بدءاً من آدم عليه السلام
وانتهاءً بخاتم الأنبياء والمرسلين ، محمد صلى الله عليه وسلم الذي
أخبره الله تعالى في سورة هود عن نبأ من تقدمه من رُسل وأنبياء .
قال الله تعالى : (وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا ثَبَّتْنَا بِهِ فُؤَادَكَ
وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ)

الناشر

بجدة

دار القلم العربي

للأطفال

فَجَرُّ الْهُدَى وَالْإِيمَانِ

يُوسُفُ

عَلَيْهِ السَّلَامُ
الصَّابِرُ الْمُحْتَسِبُ

من قصص

الأنبياء

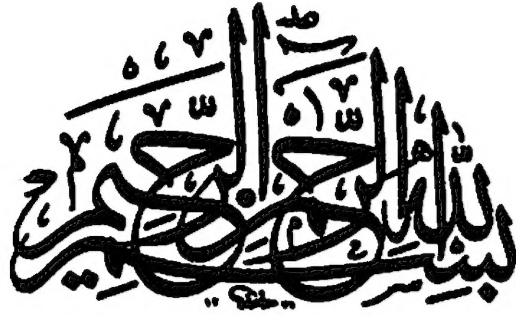
عليهم السلام



مراجعة : يوسف عبد الكريم عساني

إعداد وترتيب : زهير مصطفى

جميع الحقوق محفوظة لدار القلم بحلب ولا يجوز إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه
أو طباعته ونسخه أو تسجيله إلا بإذن مكتوب من الناشر



منشورات

دار القلم العربي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

مضبوطة ومشكولة

1421هـ - 2001 م

عنوان الدار:

سورية - حلب - خلف الفندق السياحي - شارع هدى الشعراوي
ص.ب: 78 هاتف: 2213129 فاكس: 2212361 +963 21

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نَسَبُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

هُوَ أَيُّوبُ بْنُ مَوْصَ بْنِ رَازِحَ بْنِ الْعَيْصِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ
إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عَلَيْهِمُ
السَّلَامُ وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ
وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وَهُوَ أَحَدُ الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ نَصَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ، عَلَى
نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِمْ، قَالَ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ
وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٢).

(١) سورة: الأنعام / ٨٤ .

(٢) سورة: النساء / ١٦٣ .

ابتلاءُ أيوبَ بماله

كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، غَنِيًّا، وَافِرَ الْمَالِ،
وَبِمُخْتَلَفِ أَنْوَاعِهِ، فَكَانَ يَمْلِكُ أَنْوَاعًا شَتَّى مِنَ الْأَنْعَامِ^(١)
وَالْعَبِيدِ وَالْمَوَاشِي وَأَرَاضٍ شَاسِعَةٍ، فِي مِنْطَقَةِ حَوْرَانَ وَمَعَ ذَلِكَ
فَإِنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَبْطُرْ وَلَمْ يَتَكَبَّرْ، بَلْ رَأَى أَنَّ ذَلِكَ
الْمُلْكَ، هُوَ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ، أَفَلَا يَسْتَحِقُّ الشُّكْرَ عَلَيْهِ؟ بَلَى
وَهَكَذَا كَانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَائِعًا لِلَّهِ، شَكُورًا مُتَعَبِّدًا، كَثِيرَ
الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ، حَتَّى عَرَفَهُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَجُوبُونَ
أَطْرَافَ الْأَرْضِ، مُتَحَدِّثِينَ عَنْ هَؤُلَاءِ الْأَتْقِيَاءِ الصَّالِحِينَ، حَيْثُ
قَالَ قَائِلُهُمْ:

- لَمْ نَجِدْ عَلَى الْأَرْضِ خَيْرًا مِنْ أَيُّوبَ.

وَكَانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَرِيمًا جَوَادًا، يَعْرِفُ أَنَّ مَا يَمْلِكُ
مِنْ مَالٍ لَيْسَ سِوَى أَمَانَةٍ فِي عُنُقِهِ، إِنَّ صَرْفَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ
فَازَ، وَإِنْ صَرْفَهُ فِي الشَّرِّ وَالشُّوْءِ هَلَكَ وَخَسِرَ، وَلِهَذَا كَانَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ يَجُودُ بِمَالِهِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَيَخْنُو عَلَى الصَّغِيرِ

(١) الأنعام: الحيوانات.

وَالْكَبِيرِ، وَيُكْرِمُ الْجَائِعَ وَيَكْسُو الْعَارِيَ. وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، أَرَادَ أَنْ يَخْتَبِرَ وَيَمْتَحِنَ نَبِيَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ أَعْلَمُ
الْعَالَمِينَ، فَوَسَّوَسَ لَهُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، الَّذِي حَاوَلَ أَنْ يَرُدَّعَهُ
عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنْ عِبَادَةِ وَشُكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الَّذِي نَذَرَ نَفْسَهُ
لِإِغْوَاءِ النَّاسِ، وَحَاوَلَ أَنْ يُزَيِّنَ لَهُ مَبَاهِجَ الدُّنْيَا وَمَتَاعَهَا، لَعَلَّهُ
يَصْرِفُ أَيُّوبَ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، وَلَكِنْ أَنَّى لِلشَّيْطَانِ
أَنْ يَتِمَّكَنَ مِنْ قَلْبِ أَيُّوبَ التَّقِيِّ النَّقِيِّ؟ وَكَيْفَ يُمَكِّنُ لَهُ أَنْ
يَخْدَعَهُ، وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْحَى إِلَيْهِ. وَعَلَى
الرَّغْمِ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي حَلَّ بِهِ، عِنْدَمَا شَاءَ الْعَلِيُّ الْقَدِيرُ
أَنْ يَسْلُبَ أَيُّوبَ أَمْوَالَهُ وَمَوَاشِيَهُ وَأَرَاضِيَهُ فَيُصْبِحَ فَقِيرًا بَعْدَ غِنَى
وَمُعْوِزًا بَعْدَ اكْتِفَاءٍ، وَسَعَةً وَرَخَاءٍ عَيْشٍ، ظَلَّ أَيُّوبُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، شَاكِرًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، مُتَعَبِّدًا لَهُ أَطْرَافَ النَّهَارِ، وَأَنَاءَ
اللَّيْلِ، لَا يَفْتَأُ يَذْكُرُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَلْهَجُ قَلْبُهُ بِذِكْرِهِ وَبِشُكْرِهِ،
فَالْمَالَ مَالِ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي وَهَبَ، وَهُوَ الَّذِي أَخَذَ وَلَا رَادَّ
لِمَشِئَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَوَجَّهَ النَّبِيُّ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى اللَّهِ،
يَشْكُو مَا حَلَّ بِهِ مِنْ تَعَبٍ وَعَذَابٍ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ
الْعَزِيزِ:

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ (١).

فَتَحَمَّلَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الشَّدَّةَ وَالْعَوَزَ، وَصَبَرَ عَلَى مَا
ابْتَلَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ، وَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا خُشُوعًا وَإِيمَانًا وَحَمْدًا
وَشُكْرًا، وَعِنْدَئِذٍ تَرَجَعَ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ، عِنْدَمَا لَمْ يَجِدْ سَبِيلًا^(١)
إِلَى إِغْوَاءِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَكِنْ إِلَى حِينٍ.

ابْتِلَاؤُهُ فِي أَوْلَادِهِ

ظَنَّ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ أَنَّ النَّبِيَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمْ يَعْبُدِ اللَّهَ
عَزَّ وَجَلَّ، إِلَّا طَمَعًا فِي إِبْقَاءِ ثَرَوَتِهِ وَأَمْوَالِهِ وَمَوَاشِيهِ، وَلَكِنَّهُ
بَاءَ بِفَشَلٍ ذَرِيعَ، وَمُنِيَ بِالْخِزْيِ وَالْعَارِ وَالْهَزِيمَةِ، عِنْدَمَا رَأَى مِنْ
صَبْرِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَحَمُّلِهِ لِلصَّعَابِ وَالشَّدَائِدِ، ضَارِبًا
الْمَثَلَ الَّذِي يُحْتَذَى^(٢) لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ، فِي كُلِّ مَكَانٍ وَفِي أَيِّ
زَمَانٍ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ لَمْ يَيْئَسْ وَحَاوَلَ مَرَّةً ثَانِيَةً، أَنْ
يَتَسَلَّلَ إِلَى قَلْبِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِيَكِيدَ لَهُ وَلِيُبْعِدَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، وَذَلِكَ عِنْدَمَا شَاءَتْ إِرَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَفْقِدَ أَيُّوبُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْلَادَهُ، وَالْأَوْلَادُ بَضْعَةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ، وَفَقْدَانُهُمْ
اِخْتِبَارٌ حَقِيقِيٌّ لَهُ، فَقَدْ زَلَزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، الْقَصْرَ الَّذِي كَانُوا

(١) سبيلًا: طريقًا.

(٢) يحتذى: يقتدى به.

يَقِينُونَ بِهِ، فَتَحَوَّلَ إِلَى أَنْقَاضٍ، بَعْدَ أَنْ تَصَدَّعَ بُنْيَانُهُ وَانْهَارَتْ أَرْكَانُهُ، وَفَرِحَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ، لَمَّا حَلَّ بِالنَّبِيِّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّذِي دَمَعَتْ عَيْنَاهُ، عِنْدَمَا عَلِمَ بِمَوْتِ أَبْنَائِهِ، لَكِنَّهُ حَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَكُلُّنَا إِلَى اللَّهِ رَاِحِلُونَ، وَلَا خُلُودَ لِأَحَدٍ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا. الزَّائِلَةُ، فَتَحَمَّلَ أَيُّوبُ الصَّدْمَةَ، وَصَبَرَ عَلَى الْبَلَوَى، الَّتِي لَمْ تَزِدْهُ إِلَّا قُوَّةً وَعَزِيمَةً وَإِرَادَةً لَا تَلِينُ فِي مُحَارَبَةِ الْبَاطِلِ، وَفِي الْجَهْرِ بِالْحَقِّ، وَفِي الثَّبَاتِ عَلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ، الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَالثَّنَاءُ، وَمِنِي إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ مَرَّةً ثَانِيَةً بِالْخِزْيِ وَالْهَزِيمَةِ، فَرَغَمَ فِدَاحَةَ الْمَصَائِبِ، وَعِظَمِ الشَّدَائِدِ، الَّتِي لِحَقَّتْ بِالنَّبِيِّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَمَا أَذْهَبَ اللَّهُ أَمْوَالَهُ وَمَوَاشِيَهُ، ثُمَّ أَفْنَى أَوْلَادَهُ، ظَلَّ يَعْبُدُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، عَلَى نِعَمَائِهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى بَلَوَائِهِ.

ابتلاؤه في جسده

عَاوَدَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ، مُحَاوَلَاتِهِ فِي إِغْوَاءِ النَّبِيِّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ، مَا أَشَدَّ إِيْمَانَ هَذَا الرَّجُلِ؟ وَمَا أَقْوَى عَزِيمَتُهُ، مَا أَصْلَبَ عُودُهُ! وَمَا أَمْتَنَ قَامَتُهُ! إِنَّهُ قَوِيُّ الْبُنْيَانِ، صَحِيحُ الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ، وَعِنْدَيْهِ لَاحِتٌ لِإِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ، فِكْرَةٌ شَرِيرَةٌ جَدِيدَةٌ، وَهِيَ أَشَدُّ وَأَذْهَى مِنَ الْفِكْرَتَيْنِ. لِمَاذَا لَا يَسْأَلُ

رَبَّهُ أَنْ يَبْتَلِيَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِالْمَرَضِ وَالسَّقَمِ، فَيَذْهَبَ صِحَّتُهُ وَيَمْنَعَ عَافِيَتَهُ. أَيْسْتَطِيعُ أَيُّوبُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى هَذِهِ الْبَلَوَى الشَّدِيدَةِ؟ وَيَظُنُّ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ، أَنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سَوْفَ يَفْقِدُ صَبْرَهُ وَيَضِيقُ ذَرْعًا بِالْمَرَضِ وَالسَّقَمِ وَشِدَّةِ الْأَوْجَاعِ، وَلَنْ يَحْتَمِلَ الْآلَامَ الْمُبْرِّحَةَ، الَّتِي سَوْفَ تُورِّقُهُ، وَتَمْنَعُ النَّوْمَ عَنْ عَيْنَيْهِ، فَتُسَلِبَهُ الرَّاحَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ، فَتُنْسِيَهُ وَاجِبَاتِهِ، تَجَاهَ خَالِقِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَا بُدَّ تَارِكُ عِبَادَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَالِعٌ ثَوْبَ الطَّاعَةِ.

وَتَشَاءُ إِرَادَةُ الْعَلِيِّ الْقَدِيرِ، مَرَّةً ثَالِثَةً أَنْ يَمْتَحِنَ إِيْمَانُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَصَبْرُهُ، وَأَنْ يَجْعَلَهُ عَبْدًا شَكُورًا مُؤْمِنًا، تَكُونُ مَآسِيهِ وَمَصَائِبُهُ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَعِظَةً لِكُلِّ النَّاسِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، وَعِزَاءً لِلْمُصَابِينَ وَالْمَحْزُونِينَ وَالْمَحْرُومِينَ، فَسَلِبَهُ الصِّحَّةَ وَالْعَافِيَةَ، وَابْتَلَاهُ فِي جَسَدِهِ بِأَمْرَاضٍ شَدِيدَةٍ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ عُضْوٌ وَاحِدٌ سَلِيمٌ، سِوَى قَلْبِهِ، وَلِسَانِهِ، يَذْكُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِمَا، وَطَالَ مَرَضُهُ، حَتَّى ابْتَعَدَ عَنْهُ الْجَلِيسُ، وَالرَّفِيقُ، وَاسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْأَنْبِيُّ وَالصَّدِيقُ، فَضَعُفَ جِسْمُهُ، وَذَابَ لَحْمُهُ، وَاصْفَرَّ وَجْهُهُ، وَغَارَتْ عَيْنَاهُ، وَلَمْ يَعُدْ يَقْوَى عَلَى حَمْلِ جِسْمِهِ النَّاحِلِ الْهَزِيلِ، وَفَوْقَ هَذَا كُلِّهِ، جَفَاهُ^(١) النَّوْمُ، وَرَافَقَهُ

(١) جفاه: ابتعد عنه.

الْأَرْقُ، وَلَا زَمَهُ الْقَلْقُ، حَتَّى غَدَا فِرَاشُهُ وَكَأَنَّهُ الشَّوْكُ، وَلَكِنَّ
النَّبِيَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهُوَ فِي هَذَا كُلِّهِ، هَذَا الَّذِي تُنَوُّ^(١)
عَنْ حَمْلِهِ الْجِبَالُ، وَتَتَّسِعُ لَهُ الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ، كَانَ صَابِرًا
وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: حَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ.

وَكَانَ مِمَّا سَاعَدَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى تَحْمُلِ الْأَذَى
وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ، زَوْجُهُ الْوَفِيَّةُ الْمُخْلِصَةُ الَّتِي رَافَقَتْهُ كَظْلِهِ فِي سِنِي
مَرَضِهِ الطَّوِيلَةِ، تَرَعَاهُ وَتُخَفِّفُ مِنْ آلامِهِ، وَتَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ،
وَتُصْلِحُ مِنْ شَأْنِهِ، وَتُعِينُهُ عَلَى قَضَاءِ حَاجَتِهِ، دُونَ أَنْ تَضْجَرَ،
أَوْ تَمَلَّ، وَدُونَ أَنْ تَشْكُوَ هَمًّا سَاوَرَهَا مِنْ مَرَضِهِ وَآلامِهِ، حَتَّى
أَصَابَهَا الضَّرُّ، فَضَعُفَ جِسْمُهَا، وَنَفِدَ مَالُهَا، حَتَّى كَانَتْ تَخْدُمُ
النَّاسَ لَتُعِينَ زَوْجَهَا، بِهَذَا الْأَجْرِ الزَّهِيدِ الَّذِي تَنَالَهُ لِقَاءَ عَمَلِهَا،
وَهِيَ صَابِرَةٌ عَلَى مَا حَلَّ بِهِمَا، مِنْ فِرَاقِ الْمَالِ وَالْوَلَدِ وَالصَّحَّةِ،
وَلَمْ لَا؟ فَهَلْ تَنْسَى قَدِيمَ إِحْسَانِ زَوْجِهَا عَلَيْهَا؟ وَرِفْقِهِ بِهَا؟
وَحَنَانِهِ عَلَيْهَا، وَإِغْدَاقِهِ^(٢) الْمَالِ الْوَفِيرِ مِنْ أَجْلِ رَاحَتِهَا،
وَسَعَادَتِهَا، وَزَادَ الْأَمْرَ سُوءًا أَنَّ النَّاسَ، ابْتَعَدُوا عَنْهَا هِيَ
الْأُخْرَى، خَوْفًا مِنْ أَنْ تَنْقُلَ الْمَرَضَ إِلَيْهِمْ، لِعِلْمِهِمْ أَنَّهَا امْرَأَةٌ

(١) تنوء: تعجز.

(٢) أغدق المال: صرفه بكرم وسخاء.

أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمْ تَجِدْ مَنْ يَسْتَخْدِمُهَا وَعِنْدَمَا أُعِيَتْهَا^(١)
الْحِيلَةُ، لَجَأَتْ إِلَى إِحْدَى ضَفَائِرِ شَعْرِهَا، فَبَاعَتْهَا لِبَعْضِ بَنَاتِ
الْأَشْرَافِ، وَعِنْدَمَا عَلِمَ النَّبِيُّ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِمَا فَعَلَتْهُ زَوْجُهُ
رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا:

﴿وَأَيُّوبُ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾^(٢)

وَأَقْسَمَ إِنَّ شِفَاءَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِيَضْرِبَنَّ زَوْجَتَهُ. وَحَارَ إِبْلِيسُ
لَعْنَهُ اللَّهُ فِي أَمْرِهِ، فَهَا هُوَ يُخَفِّقُ مَرَّةً ثَالِثَةً فِي إِغْوَاءِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ، الَّذِي جَاهَدَ الْمَرَضَ، وَصَبَرَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَتَّخِذْ عَنْ عِبَادَةِ
رَبِّهِ، بَلْ ظَلَّ يَتَّقَرَّبُ إِلَيْهِ بِالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ،
فَاجْتَمَعَ إِبْلِيسُ إِلَى أَغْوَانِهِ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ:

- أَيْنَ دَهَاؤُكَ وَمَكْرُوكُ؟ أَعَجَزْتَ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ؟ وَكَيْفَ
اسْتَطَعْتَ إِغْوَاءَ آدَمَ وَإِخْرَاجَهُ مِنَ الْجَنَّةِ؟ عِنْدَيْدٍ تَذَكَّرَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ
اللَّهُ، أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ إِخْرَاجَ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ، إِلَّا عَنْ طَرِيقِ حَوَاءَ،
فَلَجَأَ إِلَى زَوْجَةِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بَعْدَ أَنْ تَمَثَّلَ لَهَا رَجُلًا وَقَالَ
لَهَا:

- أَيْنَ زَوْجُكَ وَمَا هِيَ أَحْوَالُهُ؟ فَقَالَتْ زَوْجَةُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ
السَّلَامُ:

(١) أَعِيَتْهَا: أَعْجَزَتْهَا.

(٢) سورة الأنبياء / ٨٣ .

- هَا هُوَ قَعِيدُ الْفِرَاشِ ، لَا حَرَكَ فِيهِ ، لَا هُوَ مَيِّتٌ فَيُنْعَى ، وَلَا هُوَ حَيٌّ فَيُرْجَى .

فَلَمَّا سَمِعَ كَلَامَهَا هَذَا طَمَعَ فِي إِغْوَائِهَا ، فَأَخَذَ يُذَكِّرُهَا بِأَيَّامِهَا الْخَالِيَةِ ، مَعَ زَوْجِهَا عِنْدَمَا كَانَ شَابًّا صَحِيحَ الْجِسْمِ ، وَأَخَذَ يُنْقِرُهَا مِنْهُ ، وَأَصْبَحَ لَا يُرْجَى مِنْهُ شَيْءٌ ، فَإِلَى مَتَى تَتَّخِذُهُ؟ وَإِلَى مَتَى تُرْهِقُ نَفْسَهَا مِنْ أَجَلِهِ؟ فَزَرَعَ فِي نَفْسِهَا الْمَلَلَ وَالضَّجَرَ ، وَأَثَارَ فِي نَفْسِهَا الْأَحْزَانَ وَالْأَشْجَانَ ، فَتَوَجَّهَتْ إِلَى زَوْجِهَا أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِلَةً :

- يَا أَيُّوبُ إِلَى مَتَى تَصْبِرُ عَلَى بَلْوَاكَ ، وَتُعَانِي مِنَ السَّقَمِ وَالْمَرَضِ؟ إِلَّا تَدْعُو رَبَّكَ وَتَسْأَلُهُ أَنْ يَشْفِيكَ وَيَرْفَعَ الْمَرَضَ عَنْكَ؟ فَقَالَ لَهَا أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- لَقَدْ عِشْتُ سِنِينَ طَوِيلَةً صَحِيحًا مُعَافَى ، أَتَمَتَّعُ بِالْمَالِ وَالْأَوْلَادِ وَالصَّحَّةِ ، أَفَكَثِيرٌ أَنْ أَصْبِرَ لَهُ بَعْضَ السِّنِينَ؟ فَجَزَعَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ وَقَالَتْ :

- إِلَى مَتَى هَذَا الْعَذَابُ وَهَذَا الشَّقَاءُ ، أَيْنَ مَالُكَ؟ أَيْنَ عِيَالُكَ؟ أَيْنَ صِحَّتُكَ بَلْ أَيْنَ أَصْدِقَاؤُكَ وَأَهْلُكَ؟ عِنْدَيْدِ عَرَفَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ وَسَّوسَ لَهَا ، وَدَخَلَ إِلَى قَلْبِهَا ، فَطَلَبَ مِنْهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى اللَّهِ ، وَتَتُوبَ إِلَيْهِ وَزَادَ تَضَمُّيمُهُ عَلَى أَنْ يَضْرِبَهَا إِنْ شَفَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ .

شفاء أيوب

تَوَجَّهَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى رَبِّهِ يَدْعُوهُ، لادُّعَاءِ الضَّجْرِ الْمُتَبَرِّمِ، بَلْ دُعَاءَ مَنْ يَتَوَسَّلُ أَنْ يَكْشِفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا بِهِ، وَيَرْفَعَ الْأَسْقَامَ عَنْهُ، فَهَا هُوَ قَدْ بَقِيَ وَحِيداً وَنَادَى رَبَّهُ قَائِلاً:

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣)
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (١).

وَهَكَذَا اسْتَجَابَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، لِدُعَائِهِ وَتَوَسُّلَاتِهِ، فَكَشَفَ مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَمَرَضٍ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ ضَرَبَ مَثَلاً فِي الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ، بَلْ صَارَ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الصَّبْرِ وَشِدَّةِ التَّحَمُّلِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنْ يَضْرِبَ بِرِجْلِهِ الْأَرْضَ، لِيَنْفَجِرَ الْمَاءُ الْعَذْبُ مِنْ تَحْتِهَا، فَيَغْتَسِلَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ وَيَشْرَبَ، وَمَا إِنْ اغْتَسَلَ وَشَرِبَ حَتَّى بَرِئَتْ (٢) جُرُوحُهُ، وَانْدَمَلَتْ قُرُوحُهُ، وَذَهَبَ عَنْهُ الْمَرَضُ وَالسَّقَمُ، وَعَادَتْ إِلَيْهِ صِحَّتُهُ كَمَا كَانَتْ، فَبَدَأَ قَوِيّاً يَافِعاً مُمْتَلِئاً صِحَّةً وَعَافِيَةً، ثُمَّ عَادَ إِلَى زَوْجِهِ الَّتِي نَدِمَتْ عَلَى مَا بَدَرَ مِنْهَا سَابِقاً فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ:

(١) سورة الأنبياء الآية (٨٣ - ٨٤).

(٢) برئت: شفيت.

- أَيُّهَا الرَّجُلُ هَلْ رَأَيْتَ نَبِيَّ اللَّهِ، هَذَا الَّذِي ابْتَلَاهُ اللَّهُ، فَوَاللَّهِ
مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَشْبَهَ بِهِ مِنْكَ عِنْدَمَا كَانَ صَحِيحًا. فَقَالَ لَهَا أَيُّوبُ
عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- وَيَحَكِ يَا امْرَأَةُ أَنَا زَوْجُكَ أَيُّوبُ. أَلَمْ تَعْرِفِينِي؟ فَقَالَتْ لَهُ:

- أَتَسْخَرُ مِنِّي يَا عَبْدَ اللَّهِ؟ فَقَالَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

- وَيَحَكِ أَنَا أَيُّوبُ قَدْ رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ صِحَّتِي وَعَافِيَّتِي.

كَمَا أَخْلَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَهْلَهُ وَعَوَاضَهُ
عَنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَجَمَعَ شَمْلَهُ بِهِمْ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ.

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ^(١) وَعَذَابٍ^(٤١)
أَرْكُضُ^(٢) بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ^(٤٢) وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا
وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ^(٣)﴾^(٤).

وَهَكَذَا كُوفِيَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاثْبَتَ أَنَّهُ جَدِيرٌ بِالنُّبُوَّةِ،
جَدِيرٌ بِحَمْلِ أَعْبَائِهَا، جَدِيرٌ بِأَنْ يَكُونَ رَسُولَ الْإِيمَانِ وَالصَّبْرِ
وَشِدَّةِ التَّحَمُّلِ.

(١) نصب: تعب.

(٢) اركض: اضرب الأرض برجلك.

(٣) أولي الأبواب: أولي العقول.

(٤) سورة ص (٤١ - ٤٣).

وَوَفَاءً مِّنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَنَبِيِّهِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَرِفْقًا
بِزَوْجِهِ، الْمُخْلِصَةِ الْوَفِيَّةِ، الَّتِي صَبَرَتْ مَعَهُ، وَتَحَمَّلَتْ الْأَذَى،
وَاحْتَمَلَتْ زَوْجَهَا فِي مَرَضِهِ، تَرْعَاهُ وَتَخْدُمُهُ وَتَحْنُو عَلَيْهِ، وَتَقُومُ
بِكُلِّ وَاجِبَاتِهَا الزَّوْجِيَّةِ، هَيَّا لَهُ رُخْصَةً فِي يَمِينِهِ الَّذِي أَقْسَمَهُ فِي
أَن يَضْرِبَهَا مِثَّةَ سَوْطٍ، إِنْ شَفَاهُ اللَّهُ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْ خُذْ
يَا أَيُّوبُ حِزْمَةً مِّنَ الْقَشِّ، وَاجْمَعْ مِثَّةَ قَشَّةٍ وَاضْرِبْ بِهَا زَوْجَكَ
ضَرْبَةً وَاحِدَةً، فَيَكُونُ هَذَا بِمَنْزِلَةِ الضَّرْبِ بِمِثَّةِ سَوْطٍ.

يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ فِي سُورَةِ "ص":

﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ
بِرَجْلِكَ هَذَا مَغْسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرًا
لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا ^(١) فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ^(٢) إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا
نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ^(٣) ﴿٤٤﴾

(١) ضغثاً: حزمة من قش.

(٢) تحنث: أي تترك ضرب زوجتك.

(٣) أواب: عائد إلى الله تعالى.

(٤) والآيات من سورة ص (٤١ - ٤٤).

فضله عليه السلام

ذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَحْتَجُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
بِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، عَلَى الْأَغْنِيَاءِ، نَظْرًا لَأَنَّهُ كَانَ يَمْلِكُ كُنُوزَ
الدُّنْيَا، وَبِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْأَرْقَاءِ وَبِأَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَلَى أَهْلِ الْبَلَاءِ.

وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

أَشَدُّ النَّاسِ بَلَاءً الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الصَّالِحُونَ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَلَا أَمْثَلَ.
وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ:

يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ زِيدَ
فِي بَلَائِهِ.

وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ:

إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ أَيُّوبَ لَبِثَ بِهِ بَلَاؤُهُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، فَرَفَضَهُ
الْقَرِيبُ وَالْبَعِيدُ...

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :

لَمَّا عَافَى اللَّهُ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَمْطَرَ عَلَيْهِ جَرَادًا مِنْ
ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَأْخُذُ مِنْهُ بِيَدِهِ وَيَجْعَلُ فِي ثَوْبِهِ فَنَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّ
وَجَلَّ: يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنِيْكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبَّ
وَلَكِنْ لَا غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ.

* * * * *